احمد لطفي السيد

وزير المعارف المصرية كما عرفته

Ahmed Lutfy as-Séid.

بقلم الاديب المعروف الاستاذ نجيب شاهين المحرر في صحيفة « السياسة » المصرية

جمعني وبعض الاصدقاء مجمع عرض فيه ذكر المقال الذي حشاه صديقي عباس محمود العقاد طعنا في رجل من خير رجالات مصر وهو احمد لطفي السيد وزير المعارف الحالي . فقال احد الحاضرين وهو محام مصري طويل الباع في الادب « أنا لا اعرف العقاد ولم أر له صورة وجه ولكني استدل من كتابته على انه شديد الذكاء وان لم ينل قسطاً وافراً من التربية الحديثة فقد تعامل على شوقي مثلا وهو شاعرنا الاوحد ويخيل الى غير الاديب الحق وهو يقرأ انتقاده لشوقي ان شوقي ليس بناظم فضلا عن ان يكون شاعراً فذا منقطع النظير . ولا أذكر انصدح احداً مختاراً او انه تطوع لبيان فضائل فاضل وهذا شر ما يصاب به « أديب ».

والغريب ان يكون هذا شأن كاتب مشهود له بالذكاء والادب الكتابي كأن الادب الكتابي والادب الخلقي نقيضان فيه لا يجتمعان . والاصل واحد والاشتقاق واحد ورحم الله القائل :

كذاك أدبت حتى صار من خلقي اني وجدت ملاك الشيمة الادب

وفي الحق ان الادب الخلقي الذي أراده الشاعر انما هو سيد الاخلاق ولا يحسب الكاتب الاديب اديباً ما لم يكن على خلق عظيم .

تناول صديقي العقاد استاذي احمد لطفي السيد في مقاله ونال منه كل منال ولج في خصومته وفي عداوته ولم يترك مكاناً للصلح — فعل هذا كله متطوعاً مختاراً — اذ لا يعقل ان مثل هذا السباب البذيء يكلفه اياه احد حتى ولو كان من حثالة خصومه السياسيين . وهكذا ترى انه اديب يتطوع للشر ويقترح عليه الخير فلا يلبي إلا مكرهاً . وهذه ادنى دركة ينزل اليها الاديب ، وهذا ما يحملنا على الظن ان المقال لم يعرض على صاحب البلاغ ورئيس تحريره قبل

القادر حمزة . فقد زاملناه في اواخر ايام « الجريدة » وكان الاستاذ لطفي السيد رئيسا لنا فجعل عبدالقادر يده اليمنى في التحرير حتى حسن واحاطه برعايته وكان يلقنه ما يريد ان يقول ويبقي ذلك شأنه حولا او أكثر حتى انتدب لتحرير (الاهالي) في حديث ليس هذا مجاله . فما نظن الاستاذ عبدالقادر كان يسمح بنشر ذلك المقال لو اطلع عليه وكان ممن يعرف الجميل ويذكر المعروف .

اراد الاستاذ العقاد ان ينتقص فضل رجل لو كان في مصر عشرات مثله لكانت ذات استقلال تام من تلقاء نفسها ومن غير ان يحتاج في ذلك الى السياسة ووسائلها . اراد ان ينتقص فضائله « فلم يضرها واوهى قرنه الوعل » . ولست ادري لم يغضب الاستاذ العقاد من ان يسمى احمد لطفي السيد استاذا وكل محام استاذ وكل طبيب استاذ وكل معلم استاذ . اترانا يسلم باستاذية هؤلاء جميعا إلا استاذية احمد لطفي السيد ؟

وبالطبع ان من ينكر على رجل كونه استاذا اجر به ان ينكر عليه كونه فيلسوفا . ولكن هل كلف احمد لطفي السيد احدا ان يلقبه بالفيلسوف او أوعز الى احد بذلك . وان كانت السياسة هي اول من اشاع هذا اللقب فهل هي التي اوعزت الى غيرها ان يحذو حذوها . لا يهولنك يا صديقي العقاد ان يلقب احمد لطفي السيد بالفيلسوف لانه اذا كان فيلسوفا فلست تقف انت عقبة في سبيل هذا اللقب وان لم يكن فيلسوفا فلسوف يزول هذا اللقب عنه من نفسه يوم يقوم في البلاد رجال اكثر استحقاقا لهذا اللقب منه .

وتحسب أن خلو كتاب الاخلاق الذي ترجمه من مقدمة له دليل على ذوقه السليم وانه يقدر الاشياء قدرها فاكتفى بالمقدمة الفرنسية لوفائها بالغرض وفي هذا اعظم دليل على البعد عن الدعوى الذي يلصقه العقاد .

ولست أدري لم تكون معرفة نيتشه او تولستوي هي مقياس الفلسفة ولا يكون مقياسها معرفة ارسطو او افلاطون او سقراط او ابن رشد او الغزالي او ديكارت او هيجل او سبنسر . ثم ان فلسفة نيتشه ليست مجهولة كل الجهل عندنا فقد رأينا مقالات كثيرة عنها لكثير من كتابنا في كثير من مجلاتنا أفلا يجوز ان يكون احمد لطفي السيد قد أطلع على احداها ليدرك ماهية فلسفة نيتشه؟!

صدقني ياصاحبي العقاد ان مقالك كله هزل ليس فيه جد وهو من نوع الهزل الذي يسميه الانجليز wit لا من النوع الذي يسمونه Humour والفرق بينهما ان الاول يكتب بروح الانتقاد المر الصادر عن الحقد والسخيمة والمكر السيء والثاني يكتب بقلم بريء خال منها كلها فصاحبه ظريف حقا . فان شئت ياصاحبي ان تعرف من هو احمد لطفي السيد فاعلم :

انه في مقدمة الذين سعوا في انشاء حزب الامة (جريدته) وهو الذي وضع برنامجه وخطب الخطب الكثيرة ودبج المقالات العديدة في تأييد سلطة الامة ولقي الاضطهاد الكثير مع (جريدته) في سبيل فصل شخصية الامة المصرية عن الشخصيات الاخرى ورأى ذلك مقدمة لازمة للاستقلال المنشود فعارضه (المؤيد) صنيعة الخديوي السابق وعارضه (اللواء) القائل بالتعلق بالاهداب العثمانية وعارضته الصحف الاخرى القائلة بمحالاة هذه الدولة الاجنبية او تلك . ولما ظهرت (الجريدة) دعانا نحن محرريها وكان فيهم الاستاذ المرحوم عبد الحميد الزهراوي شهيد الحرية فقال ان الذين ينتمون الى الدولة العثمانية منكم قد يريدون ان يعلموا خطة هذه الجريدة . فخطتها هي هذه : تناول قلما وقرطاسا ورسم دوائر خارجا بعضها عن بعض فكتب في دائرة مصر وفي الدوائر الاخرى تركية وغير تركية وقال هذه خطتنا السياسية اننا مع اتصالنا بالبلاد الاسلامية دينا ، لا صلة سياسية لنا بها البتة .

واحمد لطفي السيد في مقدمة الذين سعوا في انشاء حزب الاحرار الدستوريين وجريدة (السياسة) لسان حالهم . وهو الذي قضى ثماني سنوات يكتب المقالات الافتتاحية في (الجريدة) بيانا لسلطة الامة وتعليقا على مناقشات الجمعية التشريعية ومجلس الشورى وغيرها من مقالات التشريع والاخلاق ايام كان بعض الكتاب يقضون الساعات الطوال بين بشار وابي نواس وصريع الغواني وابن الشمقمق !!

ولم يشك احد من العقلاء في وطنيته المصرية يوما . غاب عنا ايلما ونحن في (الجريدة) لمرض اعتراه وكان منزله في دار الجريدة فدعاني صبيحة ذات يوم اليه يسألني عن التحرير فرأيته كاسف البال فجلست فسمعته يتأوه فظننت ذلك من

شدة وطأة الداء عليه وما ابطأ ان قال « ضاع البلد من ايدينا » !

كان ذلك على ما اذكر عند اعلان سياسة الوفاق في عهد السر اللنون غورست وعلى اثر مشادة سياسية لا اذكرها تماما علم منها اهل الرأي في البلد حقيقة سياسة انجلترة المصرية .

اما اخلاقه فالى القارىء مثلا عليها : اقلت من (الجريدة) في السنة الاخيرة من صدورها طلبا للتوفير فلم يشأ احمد لطفي السيد ان يبلغني خبر الاقالة فعهد في ذلك الى المرحوم حسن باشا عبدالرازق شهيد حادث شارع المبتديان وبينا كنت اقرأ مسودات الجريدة في ذلك اليوم رأيت بها خبرا عن اقالتي « فشطبته » فسأل المدير عنه فقيل له اني حذفته فدعاني اليه وشدد النكير علي بحضور المرحوم اسماعيل بك ذهني حسبان ان في ذلك اعتداء على حقوقه . وفي اليوم التالي جاءني من يقول ان اسماعيل بك ذهني قال ان لطفي بك « اداله جامد » وقد كان اجمد ما قاله لي « هل تعتدي على حقوقي » ؟

ومضت الايام فلقيته ذات يوم في ادارة المقتطف يزور المرحوم الدكتور صروف فسلم علي هاشا باشا ولمحت في وجهه نور الاطمئنان علي في عملي وفي سنة ١٩٢٢ قصدت الشام للتصييف ولما عدت قصدت دار الكتب فاخبرني صديقي حافظ ابراهيم اني عينت محررا في (السياسة) براتب حسن وكان ذلك اول ما علمت عن ذلك التعيين وان لطفي بك هو الذي عينني .

هذا شيء عن علم رجل من رجالات مصر ووطنيته الصحيحة واخلاقه العالية . أفي رجل مثل هذا تكال مقالات الطعن البذيء جزافا ؟ ارأيت ياصديقي العقاد ان كان معالي وزير المعارف الحالي وفديا أو عضوا في وزارة ائتلافية هل كنت تقول فيه ماقلت في مقالك هذا ؟ لقد بلغنا السن التي ينتظر قراؤنا منا فيها ان نكون اكثر تأنيا وانصافا في اصدار احكامنا على الناس واعلم ان مقالات الكاتب منا اكثر دلالة عليه منها على من يتناولهم فيها واصدق حكما علينا منها عليهم . واني ادعو الى الله ألا يكون حظي منك مقالة مثل هذه المقالات !!